مجلة التعليمية
ISSN: 2170-1717
EISSN 2602-6015

المجلد 12 / العـــدد: 02 (2022)، ص 461-471

هل النقد الثقافي منهج نقدي جديد أم بديل عن النقد الأدبي؟

is cultural criticism a new critical approach or an alternative to literary criticism?

د. عواد عبد القادر
قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة سيدي بلعباس
b.aoued@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2022/01/04 تاريخ القبول: 2022/10/21

الملخص:

يعدّ النقد الثقافي من أهم الاتجاهات النقدية التي برزت في مرحلة مابعد البنيوية/مابعد الحداثة، والذي جاء بمثابة ردة فعل على الاتجاهات والممارسات النقدية التي اتسمت بها مرحلة البنيوية في تعاملها مع النصوص وقراءتها،واهتمامها بالجمالي والبلاغي والفني دون الالتفات إلى النسق الثقافي وإلى الإنتاج الثقافي داخل النص،معتنيا على غير عادة المناهج الأخرى بالمهمش والهامش، محاولا أن يعيد إليه الاعتبار دون الانخداع ببريق الجمالي والشعري في الخطاب، فيساوي بين النص الجمالي وغير الجمالي، على خلاف النقد الأدبي الذي يعتني بالدرجة الأولى بالجماليات وبالغاية الجمالية في بنية اللغة للنص، وهو ما يدفعنا إلى طرح سؤال لابد منه وهو:هل النقد الثقافي بعد انتشاره ووضوح معالمه وحدوده قادر على الحلول محل النقد الأدبي كمنهج نقدي، بكل إجراءاته أم هو مجرد نظرية نقدية لم ترق بعد إلى تشكيل أسس منهج حقيقي ومستقل لدراسة النص الأدبي؟

الكلمات المفتاحية: النقد الثقافي؛ النقد الأدبي؛ المنهج؛ النظرية؛ النص؛ الخطاب؛ الدراسات الثقافية؛ ما بعد الحداثة؛ البنيوية؛ النسق؛ المضمر.

Abstract:

Cultural criticism is considered one of the most important critical trends that emerged in the post-structural/post modernism.

period, which came as a reaction to the critical trends and practices that characterized the structural phase in its dealing with texts and reading them, and its interest in aesthetic, rhetorical and artistic without paying attention to the cultural pattern and to the cultural production within the text, taking care of the other approaches of marginalized and margin, trying to restore it without being deceived by the The aesthetic and poetic brilliance of the discourse, which equates the aesthetic and non-aesthetic text, unlike literary criticism, which takes care primarily of aesthetics and aesthetic purpose in the language structure of the text, which leads us to ask a necessary question: Is cultural criticism, after its spread and the clarity of its features and limits, able to replace literary criticism as a critical approach, with all its

procedures, or is it just a critical theory that has not yet shaping the foundations of a real and independent approach to the study of the literary text?

Keywords: Cultural Criticism - Literary Criticism - Theory - Text - discourse - Cultural Studies - Postmodernism - Structural - Theme -system

توطئة:

انشغلت المناهج والمقاربات النقدية على اختلافها وتنوعها السياقية والنسقية على مدار التاريخ، بمساءلة النص الأدبي والرغبة في إضاءة جوانيته ومحاولة تفكيك بنياته ورموزه، غير أن الخطاب النقدي في مرحلة ما بعد الحداثة تميز دون غيره بجرأة أكبر في تعامله مع النص والاستئناس بجملة من النظريات النقدية والمعرفية والفلسفية التي أفرزتها هذه المرحلة ابتداء من السبعينيات مثل: النقد النسوي، النقد الجنوسي، النقد الجيني، النقد الجنسي، النقد الاستعماري، النظرية الجمالية الجديدة، النقد التاريخي الجديد، النقد التفكيكي،نظرية التلقي، وغيرها من النظريات والمفاهيم، والتي انبت تقريبا كلها على فلسفة التفكيك والتقويض واللاانسجام وتحطيم المقولات المركزية الكبرى التي هيمنت على الثقافة الغربية منذ نشوئها، ولعل ما يهمنا هنا من نظريات هذا الخطاب على وجه الخصوص النقد الثقافي الذي يطرح أكثر من سؤال حول علاقته بالنص والنقد الأدبي والثقافة والتأويل والسياق التاريخي وآليات القراءة والغايات التي نشأ من أجلها، وهل استطاع فعلا أن يصوغ تصورا منهجيا ونقديا في مقاربة الخطاب ومزاحمة النقد الأدبي؟

منطلقات النقد الثقافي والمنشأ والخلفيات:

يعدّ النقد الثقافي (critique culturelle)(cultural criticism) واحدا من التيارات النقدية الحديثة التي يمكن وصفها بالتكاملية، بحيث استطاع أن يوسّع من دائرة اهتمامه، وينفتح على فضاءات العلوم والمعارف الأخرى، حتى اغتدى يتشكل من أسئلة ما بعد الكولونيالية والقهر الاستعماري، وأيضا من أسئلة دراسة النوع أو الجنس (الجنوسة)، فضلا عن الدراسات النفسية والاجتماعية المتصلة بالفلسفة الماركسية، كما أخذ يتشكل أيضا من أسئلة الإجراءات الأنثروبولوجية ومن تطبيقات النقد الأدبي والجمال[1].

وبهذا فإن حقل النقد الثقافي يمكن عدّه حقلا تكامليا، يحتضن حقولا معرفية أخرى متنوعة، وهو أقرب إلى الدراسات البينية التي تفيد من مناهج ودراسات ونظريات أخرى والذي يمكن وصفه أيضا بتداخل النظريات(interdisciplinarité)،لاسيما أن فترة السبعينيات وبداية الثمانينيات قد تميزت بحدوث ما يعرف بثقافة" مابعد الحداثة" التي اتسمت معرفيا ونقديا بظهور اتجاهات نقدية جديدة، كما أعيد إحياء اتجاهات أخرى

مثل مابعدالكولونيالية والمادية الثقافية والماركسية الجديدة والتاريخية الجديدة والنقد النسوي وغيرها، فأصبح إثر ذلك من الصعب تحديد الخطوط الفاصلة بين تلك الاتجاهات جميعا[2].

لقد استطاع الناقد الأمريكي"فنسنتليتش" "vincentleitch" (1944-) في الثمانينيات أن يطرح مصطلح النقد الثقافي، مسميا مشروعه تحديدا بهذا الاسم، جاعلا منه رديفا لمصطلحي ما بعد الحداثة وما بعد البنيوية، في خضم نشأة الاهتمام بالخطاب كونه خطابا،وهو الناقد الذي أصدر سنة لاحقا كتابا مهما في هذا الشأن بعنوان "النقد الثقافي: نظرية الأدب لما بعد الحداثة"، وكأنه أطلق هذا المصطلح على نظريات الأدب لما بعد الحداثة(post-modernité)،- رغم أن هناك من يرجع ظهور المصطلح لأول مرة إلى الناقد "تيودور أدرنو" في مقاله الشهير "النقد الثقافي والمجتمع" سنة 1949 كما ورد أيضا في كتابه "موشورات" سنة 1951-فاهتم في ضوء هذا بدراسة الخطابات بكل أنواعها،منطلقا من التاريخ والاجتماع والسياسة والأدب، غير أنه استند في رؤيته بشكل جوهري إلى السعي نحو استكشاف الأنساق الثقافية بعيدا عن المؤسساتي وعن الجمالي ،من أجل تقويم أنظمتها التواصلية مضمونا وتأثيرا مرجعيا[3]، ولعل الانطلاقة الحقيقية لاجتهاد ليتش في التأسيس للنقد الثقافي، كان من خلال ظهور مجلة" النقد الثقافي" التي كانت تصدر في جامعة مينيسوتا في شتى الممارسات الثقافية في الثمانينيات[4].

وهكذا فإن النزوع الأساس لدى ليتش كان صوب ربط النقد الثقافي بالقراءات التأويلية والتفكيكية والحفرية، التي تروم الحفر في الخطاب والنبش في أنظمته ومضمراته والتعريف بأنساقه الثقافية، مما يعني أن النقد الثقافي كان تركيزه الجوهري قائما على أنظمة الخطاب وأنظمة الإفصاح النصوصي مثلما هي لدى بارت ودريدا وفوكو، خصوصا ما ورد في مقولة دريدا بأن لا شيء خارج النص، وهي المقولة التي يصنفها ليتش بأنها بمثابة البروتوكول للنقد الثقافي المابعد البنيوي، وكذا مفاتيح التشريح النصوصي كما عند بارت ونظريات فوكو[5].

يبدو أن النقد الثقافي في منشأه الأول كان بمثابة ظاهرة أدبية وثقافية رافقت موجة مابعد الحداثة أو ثقافة العولمة أيضا، فكانت كأنها ردة فعل على البنيوية والسيميائيات والنظريات الجمالية التي اعتنت بالأدب بوصفه ظاهرة لسانية وفنية وجمالية وشعرية،فأراد بذلك النقد الثقافي أن يقوم بفعل تقويض بعض موروثات البلاغة والنقد بغية بناء بديل منهجي وهو المنهج الثقافي، وربما تأثر هذا المنهج بمنهجية دريدا في التفكيك والتقويض والتشتيت والتشريح، من أجل استخراج الأنساق الثقافية عبر النصوص، والخطاب سواء المهيمنة أو المهمشة.

وهكذا يمكن اعتبار النقد الثقافي رؤية أو ممارسة نقدية، تجلت ضمن مشروع مابعد الحداثة النقدية،حيث تضع ثقلها النظري والمعرفي الأبرز على دعامتين اثنتين وهما:دعامة الشمول أو الكلية ، ودعامة التعدد أو نقض التمركز، لتتخلص من إسار الرؤى المنهجية أو الفلسفية المتطرفة نحو جانب دون آخر،أو مركز دون غيره،وهو الأمر الذي عانت منه منهجيات الحداثة ومابعدها.

لقد أنتج عصر المعرفة مابعد الحداثي مفهوما جديدا للوعي الفلسفي ،حيث امتلك خاصية انتشاره في حقول الحياة المختلفة والذي يمكن الاصطلاح عليه بالوعي الواحد المتعدد،أي وعي الذات في مواجهة الآخر،وهو ما أنتجته مرحلة مابعد البنيوية بمناهجها المتباينة، من رؤى نقدية عميقة وكثيفة تنهض على الثراء والتنوع والتعدد،والتي تقوم على تأويل المظاهر الثقافية الكتابية والشفاهية المختلفة في الفن والأدب، وهنا يولد النقد الثقافي ليستوعب هذا المفهوم وينتج وعيه الشمولي الذي لايخص بلدا ما أو ثقافة ما،بل يدعو إلى حالة ثراء ملحوظة تقودها المنظورات المتعددة وتتصاعد فيها وتائر التعدد والاختلاف[6]

يأتي النقد الثقافي في هذا السياق العام للتحولات الثقافية والفكرية ليقدم ضربا من الرهان المعرفي والجمالي معا، ولكنه يتكئ في ذلك على مراجعة تأريخ الأدب والنقد كليهما،ومع محاولة عميقة وجذرية في نقد التطرف والتمركز والهيمنة بكل أشكالها وصورها،دون استئصال للذاكرة الثقافية الماضية وإحلال بديل لها،بل الغاية الأولى التي يضعها نصب عينيه هي معاودة القراءة الثقافية النقدية لتلك الذاكرة وحلحلتها من المراكز والمرجعيات والسياقات المكبلة لها،وضرورة إعادة قراءة المقصي والمهمش والمعتم بوصفه متنا آخر، وكذا مراجعة قوانين المراكز الثقافية المتحكمة في تسييد أنساق دون أخرى، وهو ما ينبغي الإقرار به في عصر مابعد الحداثة الواعي بضرورة إنكار شأن الهيمنة ومصادرتها[7].

ارتبط النقد الثقافي في الجوهر بنظريات وتخصصات معرفية أخرى ، مثّلت الإرهاصات له والأرضية النظرية في انبثاقه وفي إطار منهجي معين،ويمكن تحديد بعض هذه المتكآت النظرية والمرجعية فيما يعرف بالدراسات الثقافية(cultural studies) ونقد الثقافة ،إذ يتقاطع النقد الثقافي مع هذين في موضوع الثقافة ، حيث يتخذ من الثقافة موضوعا شموليا لبحثه وتفكيره، كما يعبر عن مواقف إزاء تطوراتها وسماتها،كما أن الثقافة تشكل في نظر البعض المادة الخام التي يتخلق منها الأدب وتتميز بالتنوع والالتباس، فتتداخل فيها مجالات وقيم عديدة ، وهو مايفرض تعددا على مستوى المنهج النقدي[8].

يبدو أن الدراسات الثقافية كانت مهادا واضحا لنشأة النقد الثقافي الذي يسعى نحو تناول النص من وجهة نظر شاملة، إذ كرّست الدراسات الثقافية في أوربا وأمريكا طروحاتها لأجل تكسير مركزية النص، فلم تعد تنظر إليه"بما هو أنه نص ولا إلى الأثر الاجتماعي الذي يظن أنه من إنتاج النص، لقد صارت تأخذ النص من حيث ما يتحقق فيه وما يستكشف عنه من أنظمة ثقافية، فالنص هنا وسيلة وأداة، وحسب مفهوم الدراسات الثقافية

ليس النص سوى مادة خام يستخدم لاستكشاف أنماط معينة من مثل الأنظمة السردية والإشكالات الأيدولوجية وأنساق التمثيل، وكل ما يمكن تجريده من النص، لكن النص ليس هو الغاية القصوى للدراسات الثقافية،وإنما غايتها المبدئية هي الأنظمة الذاتية في فعلها الاجتماعي في أي تموضع كان، بما في ذلك تموضعها النصوصي"[9].

لقد تبلورت معالم الدراسات الثقافية في أوربا وأمريكا في الستينيات من القرن العشرين (1964)، من خلال تشكل مركز برمنجهام للدراسات الثقافية المعاصرة في جامعة برمنجهام ببريطانيا (birmingham center for contemporarycuturalstudies) على يد المؤسس الأول وهو ريتشارد هوجارت(1918-2014) صاحب كتاب"فوائد القراءة والكتابة" فضلا عن أعلام آخرين أمثال "ريموند وليامز" صاحب كتاب "الثقافة والمجتمع" 1958 وكتبه "الثورة الطويلة" 1961 و"كليفورد غيرتز" صاحب كتاب"تأويلات الثقافة" و"ستيوارت هول" و"بيير بورديو" الفرنسي و"ماتيو أرنولد" بكتابه "الثقافة والغوص"، و"ادوارد تايلور" بكتابه "الثقافة البدائية" 1871، و"تيري ايغلتون" و"ويكهابريج" و"دافيدمورلي" و"روبيرتشولز" و" ادوارد طمسون"، حيث شهدت هذه الحقبة تصدع الفهم النقدي الذي أشاعته المناهج النقدية الشكلية والبنيوية للأدب، وهو الأمر الذي أدى إلى تأزم أمر النسق المغلق وتفجره، ومن ثمّ انبجاس جملة من ضروب التحليل النقدي الثقافي كالاتجاهات السيميوطيقية والتفكيكية والتأويلية[10].

كان لمركز برمنجهام الفضل الكبير في توجيه الاهتمام إلى ثقافة الجماهير وتفاعلها مع وسائل وطرائق ترويجها واستهلاكها ، وقد انطلقت الدراسات الثقافية بفضل هذا المركز من بريطانيا لتمتد بعدها إلى دول ومجتمعات أخرى مثل فرنسا وكندا وأستراليا والهند وأمريكا، هذه الأخيرة التي تغلغلت فيها بشكل متميز، حيث تلقفها كوكبة من النقاد أمثال بول ديمان ودلتاي وهارولد بلوم وهبليس ميلر، ليحولوها إلى نهج في قراءة الخطابات الأدبية والفنية عبر تفكيك الخطابات الثقافية واستجلاء ما تضمره من أشكال الهيمنة والسيطرة والإديولوجيات، رغم أن الدراسات الثقافية في رأي أحد الباحثين لم تكن نظرية" بما يعنيه مفهوم النظرية من تجانس في المفاهيم وانتمائها أنطولوجيا إلى حقل معين في المعرفة ، وإنما هي مزيج من النظريات والمقاربات والنماذج والأسئلة، التي توظف لقراءة الممارسات الخطابية وأنماط القوى الاجتماعية والثقافية وارتباطها بالهويات والجماعات"[11].

اعتمدت الدراسات الثقافية بشكل خاص على قضايا ونظريات ومناهج مستقاة من الدراسات الأدبية والتاريخ وعلم الاجتماع ودراسات الاتصال والسينما ،وهو ما تسبب في فقدان الأدب لامتيازه كوعاء للقيم الكونية عموما،وذلك من منطلق أنه من عملية من بين عمليات ثقافية عديدة.

ولعل مصطلح النقد الثقافي في هذا الإطار قد يلتبس مع هذه المصطلحات التي ذكرناها آنفا (الدراسات الثقافية، نقد الثقافة) في الدلالة والمفهوم،غير أنهما في الحقيقة مختلفان رغم التقاطع المركزي في موضوع الثقافة، حيث يذهب الناقد الغذامي إلى أنه من الضروري" أن نفرق بين مصطلحين هما متاميزان بالشرط النظري، وهما

مصطلح(نقد الثقافة) ومصطلح (النقد الثقافي) وتحت مصطلح نقد الثقافة ظهرت أعمال كثيرة في مغرب الوطن وفي مشرقه وعلى مدى القرن العشرين كله، غير أن النقد الثقافي كنظرية وكمنهج وكمقولة في الأنساق المضمرة والعمى الثقافي، يأخذ لنفسه موقعا يستمد وجوده من هذه الأبعاد، وتجب محاسبته والنظر إليه من هذه الزاوية"[12].

كما ارتبط النقد الثقافي أيضا بمدرسة فرانكفورت الألمانية ذات النزعة الفلسفية ، وذلك حينما قام "كارل غرونبرغ"(1861-1940) بتأسيس معهد للبحوث الاجتماعية(سعيا نحو ت نظرية نقدية همها الوقوف أمام النظريات الاجتماعية التقليدية التي كانت تسيطر على الفكر الاجتماعي والفلسفي في الجامعات الألمانية) ، وهو المعهد الذي مارس نشاطه بهذه المدينة في بداية فيفري 1923، وافتتح رسميا في 1924، والذي تكوّن كحلقة رسمية أو حركة طلائعية عبر نقاشات جماعية مؤسساتية، مكونا إحدى فصائل الموجة الراديكالية في رفض المشروع الثقافي الغربي، وهي المدرسة التي اهتمت بربط النص الأدبي بالثقافة والبعد الاجتماعي، كما اعتنت بشكل خاص بالفن بوصفه أداة تحرر وانعتاق، كون الفن نشاطا يعبر عن الحرية، وقد مثلها العديد من النقاد والفلاسفة الرواد أمثال" ماكس هوركهايمر" و"والتر بنجامين"و"هربرتماركوز"و"يورغنهابرماس" و"تيودور أدرنو"و" إيريك فروم"[13].

كما يمكننا أن نسوق مصطلحا آخر في هذا الصدد، نلفي أن للنقد الثقافي صلة به سواء اتسمت بالقوة أو بالضعف،ولا يمكن بأي حال من الأحوال الفصل أو البتر بين تأثر المصطلحات بعضها ببعض في سيرورة تاريخية معرفية حتمية،وهو مصطلح "جماليات الثقافة" أو "بويطيقا الثقافة""cultural poetics" أو" التحليل الثقافي" "cultural analysis"، أو ما أطلق عليه مؤسس المصطلح"ستيفن غرينبلات" الأمريكي اسم "التاريخانية الجديدة" الذي تحول فيما بعد إلى "بويطيقا الثقافة"، وذلك في نهاية السبعينيات وبداية الثمانينيات من القرن العشرين، وهو المصطلح الذي أراد من خلاله تبيان الإجراءات القرائية التي طورها مع مجموعة من زملائه مثل"لويمونتروز" و"ريتشارد هيلغرسن"، مشيرا إلى أن التحليل الثقافي في ضوء علاقته بالسياقات الاجتماعية يُفهم ضمنا على شكل خارطة مرسومة داخل المدار أو الفلك الجمالي الذي يمكن بدوره من رصد بعض الدلالات التصويرية لهذه الخارطة،وهكذا يحاول المحلل الثقافي إعادة قراءة المفاهيم والأنساق الثقافية في ضوء السياقات الثقافية والظروف التاريخية التي أنتجتها[14].

بل إن الناقد الغذامي أحد دعاة النقد الثقافي في الساحة العربية، يرى أن " التاريخانية الجديدة" أو "الجماليات الثقافية" هي نظرية في القراءة والتأويل كونها تصبو نحو أرخنة النصوص أو تنصيص التاريخ[15]، ولعل ذلك ينطلق في الأساس من مفهوم النسق باعتبار النص ظاهرة نسقية[16].

النص والخطاب في النقد الثقافي:

يتجلى النص في مفهوم النقد الثقافي نسقا ثقافيا أو هو بمثابة وعاء للأنساق الثقافية المضمرة ، ولعل المبدأ الذي ينطلق منه النقاد الثقافيون هو أنكل خطاب يحمل نسقين معا أحدهما واع والآخر مضمر والذي يشمل

كل أنواع الخطابات الأدبية وغير الأدبية، بيد أنه في الخطاب الأدبي أخطر لأنه يتقنع في نظر الغذامي بالجمالي لتمرير نفسه[17]، بل إن النص في منظور المشتغلين بالنقد الثقافي ليس وثيقة جمالية كما يصنف في المفهوم المؤسساتي ، بل هو "ظاهرة ثقافية" أوسع لديه أنظمته الخاصة باعتبار أن النص يولد من رحم الثقافة[18]، وهو ما قد يعني أن النص من وجهة نظر النقد الثاني ليس نصا أدبيا جماليا بل حادثة ثقافية، تكون فيها الدلالة النسقية هي الأصل النظري للكشف والتأويل[19]

ونلفي ناقدا آخر ينظر إلى النقد الثقافي على أنه يتعامل مع النص بوصفه نسقا من الرموز والأفكار، بدءا من مادة النص المحسوس وصولا إلى طبيعته التكوينية[20]، وهو ما يسوقنا إلى ضرورة تلخيص رؤية النقد الثقافي للنصوص وتحليلها ثقافيا، وهو ما يمكن وسمه بالقراءة الثقافية للنص، التي لا تنشغل بالجمالي كثيرا ولا بالبلاغي المألوف، لأنها– القراءة الثقافية– تنظر في سيرورتها النقدية إلى التشكيلات الجمالية والصور الفنية للنصوص، على أنها مظاهر وهمية خادعة تضمر في جوانيتها أنساقا مخاتلة تتعلق بالمجتمع والثقافة والإديولوجيا[21].

النقد الثقافي والنقد الأدبي وجدل المنهج:

يطرح النقد الثقافي راهنا أسئلة جادة حول قضية المنهج وكيفيات التعامل مع النصوص، ولعل أبرز سؤال أو تساؤل يفرض نفسه في هذا الصدد هو: هل النقد الثقافي يمكنه أن يكون منهجا إجرائيا في تحليل النص وتفسيره واستنطاق معانيه؟ أو بعبارة أخرى هل يمكن أن يحل النقد الثقافي محل النقد الأدبي في مواجهة النص وتأويله ومقاربته؟، وهل هناك تكامل بينهما أم خصومة تدفع بالواحد إلى الرغبة في إلغاء الآخر؟، وهو ما يحاول أحد النقاد في المجال الدعوة إليه معتبرا أن النقد الثقافي ليس في خصومة مع النقد الأدبي ،ولن يكون إلغاء منهجيا له،بل إنه يعتمد اعتمادا جوهريا على المنجز الإجرائي للنقد الأدبي[22].

بل إنه يذهب بعيدا حينما يرى بأن النقد حاليا في حاجة ماسة إلى النقد الثقافي، ولكن انطلاقا من النقد الأدبي ، لأن فعالية النقد الأدبي في رأيه جرّبت وغدا لها حضور في المشهد الثقافي والأدبي، متوصلا إلى القطع بأن الكثير من أدوات النقد الأدبي صالحة للعمل على فاعلية النقد الثقافي بدءا من النقد الأدبي، وبهذا فإن النقد الثقافي لا يطرح وجوده في مواجهة النقد الأدبي ولايعلن الخصومة معه، وربما لن يكون بديلا حقيقيا له، بل يضع النقد الثقافي الأدب من مكانه الصحيح كما يرى البعض، وذلك بوصفه فنا جامعا للفنون والدراسات إذ لا يعمل النقد الثقافي على عزل النص الأدبي عن قائله ومحيطه ولا عن سياقه التاريخي[23].

وهو ما يجعلنا نؤمن بأن النقد الثقافي برحابته وشموليته ليس من اللائق به أن يدعو إلى موت النقد الأدبي، بعد أن بلغ سن اليأس كما ذهب إلى ذلك الغذّامي، وذلك في مثل قوله" وأنا أرى أن النقد الأدبي ... ومدارسه

القديمة والحديثة قد بالغ حد النضج أو سن اليأس، حتى لم يعد قادرا على تحقيق متطلبات المتغير المعرفي والثقافي الضخم الذي نشهده الآن عالميا وعربيا"[24]، بل هناك آخرون يدعون إلى إحيائه بطريقة حداثية وحضارية[25].

لعل اتسام النقد الثقافي بالرحابة والسعة والشمول هو ما قد يجعل النقد الأدبي في مأزق منهجي حقيقي بألا ينغلق على بنية أدبية أو فكرية مهما كانت الدوافع المنهجية، وبعيدا عن تيارات الحياة المتدافعة والمتصارعة حول الناقد، وفي داخله أيضا فكريا وسياسيا وثقافيا[26]، وهو الأمر الذي يجعل الناقد جابر عصفور يقرّ بضرورة وعي النقاد برحابة الآفاق الثقافية التي لابدّ للنقد الأدبي أن يتحرك خلالها[27].

إن صعوبة موقعة النقد الثقافي ضمن إطار محدد، يجعل تصنيفه منهجا نقديا أو نظرية معرفية ضربا من الإشكالية النقدية والمنهجية، وهو ما نلفيه لدى بعض النقاد والدارسين،حينما ينظرون إلى النقد الثقافي على أنه مجال أكبر من المنهج إذ هو" ليس بمنهج نمطي له حدود معينة، إنما هو إنساني معرفي يتناول مختلف المنجزات الفكرية والمعرفية والخطابات الحاملة لأنساق تاريخية، أو تداولية اجتماعية ، بل حتى الخطابات المهملة كالإعلانات والمسجات المرتبطة بالهاتف والنكات التي تعبر عنها بصيغ لغوية أو الخطابات المرئية/المسموعة والخطابات الصورية وباختزال واضح كل الخطابات التي تعبر عنها من خلال الثقافة"[28].

بل نلفي من يذهب أبعد من ذلك حينما ينظر إلى النقد الثقافي على أنه "ليس منهجا بين مناهج أخرى أو مذهبا أو نظرية كما أنه ليس فرعا أو مجالا متخصصا بين فروع المعرفة ومجالاتها، بل هو ممارسة أو فعالية تتوفر على دراسة كل ما تفرزه الثقافة من نصوص سواء أكانت مادية أو فكرية"[29]، مما قد يوحي بأن النقد الثقافي تجاوز مفهوم المنهج وآليات المنهج، ليشكل فعالية تستعين بالنظريات والمفاهم والنظم المعرفية لبلوغ ما تأبى المناهج الأدبية المساس به أو الخوض فيه، سعيا نحو الاقتراب أو مقاربة فعل الثقافة في المجتمعات والخطابات[30].

يمكننا تأسيسا على هذا كله ومن منطلق أن النقد الثقافي نظرية شاملة متعددة الأطراف تهتم بالدرجة الأولى بالخطاب وبمضمراته وأنساقهالثقافية،أن نخلص إلى ذكر أهم الخطوات المنهجية للمقاربة النقدية الثقافية للنص أو الخطاب، وقد أجملها أحد الباحثين فيما يأتي:

- الانطلاق من النص أو الخطاب باعتباره حاملا للعلاقات الثقافية التي ينبغي التعامل معها فهما وتأويلا.
- طرح أسئلة ثقافية جديدة كسؤال النسق بدلا من سؤال النص، وسؤال المضمر بدلا من سؤال الدال
- التركيز على الأنساق الثقافية المضمرة والدلالات النسقية الثقافية وآليات البلاغة الثقافية في مجاز كلي وتورية نسقية.
- رصد حيل الثقافة التي تمر عبر أنساق النصوص والخطابات الجمالية والفنية والأدبية
- الاهتمام بالمضمر الثقافي بدلا من الاهتمام بالدوال اللغوية ذات الطبيعة الحرفية أو الإيحائية

- الانتقال من مرحلتي الفهم والشرح إلى مرحلة التأويل الثقافي[31].

وهكذا فإننا نستنتج بأن غاية النقد الثقافي الأولى هي مساءلة النص بوصفه حادثة ثقافية ، فيصبو إلى اكتناه أبعاده ومضمراته النسقية دون التفريط في السياقات والملابسات التاريخية التي أنتجته لكن دون الاعتناء بالبعد الجمالي والفني ،بل إن الأنساق الثقافية والفكرية تختبئ خلف الغطاء الجمالي والشعري للنص،وكأن النقد الثقافي نقد لا يهتم بجماليات النص بل بقبحياته بلغة الغذامي.

الهوامش والإحالات:

[1]- ينظر نزار جبريل السعودي، تفاعل النقد الثقافي مع المناهج النقدية والمعارف المتعددة،قراءة لأهم المفاهيم الرئيسة، مجلة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية،مج14، ع2،الإمارات،2017،ص199

[2]- ينظر حفناوي رشيد بعلي،مسارات النقد ومدارات مابعد الحداثة في ترويض النص وتقويض الخطاب،دروب للنشر والتوزيع،ط1،الأردن،2011،ص138

[3]- ينظر سمير خليل، النقد الثقافي، من النص إلى الخطاب،دار الجوهري،ط1،بغداد،2012،ص11

[4]- ينظر فينسنت .ب.ليتش،النقد الأدبي الأمريكي ، من الثلاثينيات إلى الثمانينيات،تر:محمديحي، تقديم ماهر شفيق فريد، ط1، القاهرة،2000،ص410

[5]- ينظر حفناوي بعلي، مدخل إلى نظرية النقد الثقافي المقارن، الدار العربية للعلوم-ناشرون، بيروت- منشورات الاختلاف، الجزائر،ط1،الجزائر ،2007 ،ص46

[6]- ينظر بشرى موسى صالح،بويطيقا الثقافة، نحو نظرية شعرية في النقد الثقافي، إصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية،ط5، 2012،ص7

[7]- ينظر المرجع نفسه،ص39

[8]- ينظر ميجان الرويلي وسعد البازعي،دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت- الدار البيضاء،ط2، 2000، ص305، وينظر أيضا إدريس الخضراوي، الأدب موضوعا للدراسات الثقافية،جذور للنشر،الرباط،ط1 ،2007،ص37

[9]- صلاح رزق، إشكالية المنهج في النقد الثقافي ، مجلة علامات في النقد،ج51،مج 13، النادي الأدبي بجدة،2004،ص214، وينظر حفناوي رشيد بعلي، مسارات النقد ومدارات مابعد الحداثة في ترويض النص وتقويض الخطاب،ص137

[10]- ينظر سمير خليل، النقد الثقافي من النص الأدبي إلى الخطاب،ص22

[11]- إدريس الخضراوي، الرواية العربية وأسئلة مابعد الاستعمار، رؤية للنشر والتوزيع،القاهرة،2012،ص46

[12]- حسين السماهجي وآخرون، عبد الله الغذامي والممارسة النقدية، المؤسسة العربية للدارسات والنشر، بيروت،2003،ص12

[13]- ينظر ثريا بن مشمية، مدرسة فرانكفورت، دراسة في نشأتها وتياراتها النقدية واضمحلالها، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العراق،ط1، 2020 وينظر كمال بومنير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، الدار العربية للعلوم ناشرون،-منشورات الاختلاف، الجزائر –دار الأمان، الرباط،ط1، 2010وينظر توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، تر: سعد هجرس، دار أوبا للنشر، ليبيا،2004 ،ص16

[14]- ينظر عليمات يوسف، جماليات التحليل الثقافي، الشعر الجاهلي نموذجا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1، 2004 ص27-30

[15]- ينظر عبد الله الغذامي، النقد الثقافي ،قراءة في الأنساق الثقافية العربية،المركز الثقافي العربي، بيروت- المغرب،ط1 ،2000 ،ص45

[16]- ينظر يوسف عليمات، جماليات التحليل الثقافي، الشعر الجاهلي نموذجا،ص

[17]- ينظر عبد الله الغذامي، النقد الثقافي،قراءة في الأنساق الثقافية العربية ،ص65

[18]– ينظر حفناوي بعلي، حداثة الخطاب النقدي، مجلة علامات في النقد ،ج55،مج14، النادي الأدبي بجدة،2005،ص136، وينظر أيضا في الصدد نفسه بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد الأدبي، دار الوفاء، مصر،ط1، 2006،ص229

[19]– ينظر عبد الله الغذامي، النقد الثقافي،قراءة في الأنساق الثقافية العربية ،ص78

[20]– ينظر محمد عبد المطلب، النقد الأدبي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط1 ، القاهرة ، 2003،ص90

[21]– ينظر يوسف عليمات، النسق الثقافي، قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم، عالم الكتب الحديث، اربد،الأردن، 2009،ص166

[22]– ينظرعبدالله الغذامي وعبد النبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر – دار الفكر العربي، سوريا –لبنان،2004، ص21

[23]– ينظر عبد الله الغذامي، النقد الثقافي، قراءة في الأنساقالثقافية،ص

[24]– عبد الله الغذامي وعبد النبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي،ص12

[25]– ينظر سمير خليل، النقد الثقافي، من النص الأدبي إلى الخطاب،ص10

[26]– ينظر صلاح رزق، إشكالية المنهج في النقد الثقافي، مجلة علامات في النقد،ج51،مج13، النادي الأدبي بجدة،2004، ص65

[27]– ينظر جابر عصفور ، في محبة الأدب، مكتبة الأسرة، مصر، د.ت،ص16

[28]– سمير خليل ، فضاءات النقد الثقافي،من النص إلى الخطاب، دار توز، مصر،ط1، 2014،ص14

[29]– صلاح قنصوة،تمارين في النقد الثقافي، الهيئة المصرية للكتاب،مصر،2007،ص11

[30]– ينظر جاسم الموسوي،النظرية والنقد الثقافي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1، 2015،ص12

[31]– ينظر جميل حمداوي، نظريات النقد والبلاغة في مرحلة مابعد الحداثة، كتاب رقمي،مكتبةالألوكة الرقمية،ص92-93

قائمة المراجع:

1. نزار جبريل السعودي، تفاعل النقد الثقافي مع المناهج النقدية والمعارف المتعددة،قراءة لأهم المفاهيم الرئيسة، مجلة الشارقة للعلوم الإنسانية والاجتماعية،مج14، ع2،الإمارات،2017
2. حفناوي رشيد بعلي،مسارات النقد ومدارات مابعد الحداثة في ترويض النص وتقويض الخطاب،دروب للنشر والتوزيع،ط1،الأردن،2011
3. سمير خليل، النقد الثقافي، من النص إلى الخطاب،دار الجوهري،ط1،بغداد،2012
4. فينسنت .ب.ليتش،النقد الأدبي الأمريكي ، من الثلاثينيات إلى الثمانينيات،تر:محمديحي، تقديم ماهر شفيق فريد، ط1، القاهرة،2000
5. حفناوي بعلي، مدخل إلى نظرية النقد الثقافي المقارن، الدار العربية للعلوم–ناشرون، بيروت– منشورات الاختلاف، الجزائر،ط1،الجزائر ،2007
6. بشرى موسى صالح،بويطيقا الثقافة، نحو نظرية شعرية في النقد الثقافي، إصدارات مشروع بغداد عاصمة الثقافة العربية،ط5، 2012
7. ميجان الرويلي وسعد البازعي،دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت– الدار البيضاء،ط2، 2000
8. إدريس الخضراوي، الأدب موضوعا للدراسات الثقافية،جذور للنشر،الرباط،ط1 ،2007
9. صلاح رزق، إشكالية المنهج في النقد الثقافي ، مجلة علامات في النقد،ج51،مج 13، النادي الأدبي بجدة،2004،
10. إدريس الخضراوي، الرواية العربية وأسئلة مابعد الاستعمار، رؤية للنشر والتوزيع،القاهرة،2012

11. حسين السماهجي وآخرون، عبد الله الغذامي والممارسة النقدية، المؤسسة العربية للدارسات والنشر، بيروت،2003
12. ثريا بن مشمية، مدرسة فرانكفورت، دراسة في نشأتها وتياراتها النقدية واضمحلالها، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية، العراق،ط1، 2020
13. مال بومنير، النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت، الدار العربية للعلوم ناشرون،-منشورات الاختلاف، الجزائر –دار الأمان، الرباط،ط1، 2010
14. توم بوتومور، مدرسة فرانكفورت، تر: سعد هجرس، دار أوبا للنشر، ليبيا،2004
15. عليمات يوسف، جماليات التحليل الثقافي، الشعر الجاهلي نموذجا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1، 2004
16. عبد الله الغذامي، النقد الثقافي ،قراءة في الأنساق الثقافية العربية،المركز الثقافي العربي، بيروت- المغرب،ط1 ،2000
17. حفناوي بعلي، حداثة الخطاب النقدي، مجلة علامات في النقد ،ج55،مج14، النادي الأدبي بجدة،2005
18. بسام قطوس، المدخل إلى مناهج النقد الأدبي، دار الوفاء، مصر،ط1، 2006
19. محمد عبد المطلب، النقد الأدبي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط1 ، القاهرة ، 2003
20. يوسف عليمات، النسق الثقافي، قراءة ثقافية في أنساق الشعر العربي القديم، عالم الكتب الحديث، اربد،الأردن، 2009
21. عبدالله الغذامي وعبد النبي اصطيف، نقد ثقافي أم نقد أدبي، دار الفكر – دار الفكر العربي، سوريا –لبنان،2004
22. صلاح رزق، إشكالية المنهج في النقد الثقافي، مجلة علامات في النقد،ج51،مج13، النادي الأدبي بجدة،2004
23. سمير خليل ، فضاءات النقد الثقافي،من النص إلى الخطاب، دار تموز، مصر،ط1، 2014
24. صلاح قنصوة،تمارين في النقد الثقافي، الهيئة المصرية للكتاب،مصر،2007
25. جاسم الموسوي،النظرية والنقد الثقافي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ط1، 2015
26. جميل حمداوي، نظريات النقد والبلاغة في مرحلة مابعد الحداثة، كتاب رقمي،مكتبةالألوكة الرقمية